جلاء رعايا أمريكا عن الدول العربية وإسرائيل يتم قبل ساعات من هجوم اليهود.

نقل العناوين في دفتره ثم توقف. ما الذي أكتبه الآن؟ هل أحكي عن تأميم القنال وعدوان ١٩٥٦، أم أرجع إلى بداية حكم الضباط الأحرار أم أقفز لحرب الأيام الستة؟ هل أستكين لسرد وقائع؟ الوقائع في كتب التاريخ مسجلة محفوظة، بالأرقام والتواريخ، ووقائع حياتي لا عجيب فيها ولا غريب، ما جدوي سرد الوقائع؟

تطلع حوله، أم عبد الله على حق. رأت وصاحت ملتاعة: «حصل إيه، زلزال؟!» غضبت وصرفتها، قلت: لا تأتي ثانية!» أعرف أن أي زائر، بما في ذلك بناتي، سوف يقف مشدوها ما إن يدخل البيت. «خطط المقريزي» و«الخطط التوفيقية» و«تقويم النيل» بأجزائها المتعددة، كتب عبد الرحمن الرافعي، كتب جمال حمدان، «ملف وثائق فلسطين»، وغيرها من الكتب، أنزلتها من الرفوف العليا في المكتبة وتركتها مكومة على الأرض لتكون في متناول يدي وأنا أكتب. الدفاتر التي سجلت فيها يومياتي منذ عام ٦٧ حتى العام الماضي، أربعة وثلاثون دفترا يحمل غلاف كل منها تاريخ السنة بالتقويمين الهجري والميلادي، جرائد ومجلات، ملفات وصور وقصاصات متناثرة على الأرض بجوار المكتبة وبجوار السرير وفوقه، وفي غرفة الجلوس، وفي الحمام وفي المطبخ، وعلى المكتب وعلى طاولة الطعام، وعلى الطاولة الصغيرة التي تستخدمها أم عبد الله لفرم البصل أو البقدونس.

لست كاتبا، وما أكتبه ليس سوى شذرات لا يحكمها فكرة ولا بنيان. ما الذي لدي؟ سؤال لم أحدد كل عناصره، كأنه حيرة عقلي لا سؤال! دفاتر قديمة وكتب مبعثرة على الأرض، أوراق تفتتت أو تآكلت حفظتها قبل عشرات السنين مع ما لم أعد أذكره من نثريات في حقائب وصناديق أنزلتها لي أم عبد الله من الصندرة بناءً على طلبي، ما الذي سأفعله بذلك كله؟ كيف أدرجه